السنة الخامسة والعشرون بعد المئتين

فيها استوزرَ المعتصمُ محمد بن عبد الملك الزيَّات، وخَلَعَ عليه خِلَعَ الوزارة، ورفعَ منزلته[١].

وفيها أُسِرَ المازيار وقتل بسامرّاء.

وفيها حَبَسَ المعتصمُ الأفشين، ونقم عليه، وسببُه عداوةُ ابن طاهر وابن أبي دؤاد للأفشين، فأوقعَا في قلب المعتصم أنَّه يريدُ قتلَه وزوالَ الخلافة عنه. [فحكى الصوليُّ أن أحمدَ بن أبي دؤاد نقل] إلى[٢] المعتصم أنَّ الأفشين كان يكاتب المازيار، فقال له [المعتصم:] ومن أين أعلمُ حقيقةَ ذلك؟ قال: تبعث إلى كاتِبه فتهدّده وتواعده بالقتل، فأرسلَ إلى كاتبه ليلاً، فسألَه، فأنكر، فتوعَّده فأقرَّ، وقال: كتبتُ كتاباً إليه بخطِّي؛ إنَّه لم يبق في العصر غير بابك وأنت وأنا، وقد مَضى بابك، وجيوشُ المعتصم عند ابن طاهر، فلم يبقَ عنده غيري، فإنْ هزمتَ ابنَ طاهر كفيتُك أنا المعتصم، ويخلصُ لنا الدين الأبيض ـ يعني المجوسيَّة لأنَّه كان يُتَّهمُ بها ـ فقال المعتصم للكاتب: إنْ ظهر أنَّكَ اجتمعتَ بي قتلتُك. ووهبَ له مالاً.

قال أحمد بن أبي دؤاد: فدخلتُ على المعتصم وهو يبكي ويقلق، فقلتُ: لا أبكى الله عينيك، ما الذي بك؟ فقال: يا أبا عبد الله، رجلٌ أنفقتُ عليه ألفَ ألف دينار، ووهبت له مثلها، يريدُ قتلي، قد تصدَّقتُ لله تعالى بعشرة آلاف درهم، فخذها ففرِّقها. وكانت الكرخُ قد احترقت، فقلت: أرى أن يُفرَّقَ نصفُ هذا المال في أهل الكرخ، ونصفُها في أهل الحرمين[٣]، فقال: افعل[٤].

ولمَّا كان الأفشينُ يحارب بابك كان لا يأتيه هديَّةٌ ولا مالٌ من أهل إرمينية إلَّا بعث بها إلى مدينته أشروسنة، ويجتازُ بعبد الله بن طاهر، فيخبرُ المعتصمَ بها، فكتب إليه

---

(١) المنتظم ١/٩٨.

(٢) في (خ): فنقل ابن أبي دؤاد إلى. وفي (ف): فنقل إلى. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): الحرتين. ومن هنا إلى قوله: وفي هذه السنة رجفت الأهواز. ليس في (ب).

(٤) انظر المنتظم ١١/٩٩.

المعتصم أن يكاتبه بذلك، وبلغَ الأفشين، وكان يشدُّ الهمايين فيها الدنانير في أوساطِ أصحابه بقدر ما يحملُ الرجل، ويبعثُ بهم إلى أشروسنة، وعلم ابن طاهر فاجتاز يوماً جماعةٌ من أصحاب الأفشين، ففتَّشهم ابنُ طاهر، فوجدَ معهم الأموال، فقال: من أين لكم هذه الأموال؟ فقالوا: هذه للأفشين، فقال: كذبتم، لو أرادَ أخي الأفشين أن يُرسِل بهذه الأموال لكتب إليَّ يخبرُني بها؛ لآمر ببذْرَقتها[1] إلى أشروسنة، وإنَّما أنتم لصوص، وأخذَ منهم المال، ففرَّقه في جنده، وكتبَ إلى الأفشين يذكرُ له ما قال القوم، ويقول: إنْ كان هذا المال ليس لك فقد أعطيتُه لجند أمير المؤمنين، وإن كان لك فأمير المؤمنين يعوِّضُك، فكتب إليه الأفشين: الأموال كلُّها لأمير المؤمنين، أطلق القومَ يمضوا في سبيلهم.

واستوحش كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه، وبلغ ابنَ طاهر أنَّ الأفشين يطمعُ في ولاية خراسان، فازدادت الوحشة، ووقع ابن طاهر بكتبِ الأفشين إلى المازيار، فبعثَ بها إلى المعتصم، وكان من عصيان منكجور بأذربيجان ما كان، فحقَّق المعتصم الأمر، وتيقَّن الأفشين ذلك، فعزم على الهرب إلى الزاب على أطواف[2]، ويمضي من هناك إلى إرمينية وإلى الخزر، ثم إلى أشروسنة، فتعسَّر عليه، فهيَّأ طعاماً كثيراً، وجعل فيه سمًّا، وعزم على أن يدعو المعتصمَ وقوَّاده، ويسمَّهم، فإن لم يجبه المعتصمُ دعا الأتراك مثل إيتاخ وأشناس وغيرهما فسمَّهم، وخرجَ أوَّل الليل بالأطواف على الدوابّ إلى الزاب، فيعبر عليها إلى إرمينية، وكانت ولايتها إليه، فإذا وصل إليها صارَ إلى بلاد الخزر، ثمَّ يدور منها إلى بلاد الترك، ويرجع من بلاد الترك إلى أشروسنة، ويحمل الخزر والتركَ على أهل الإسلام يشغلهم عنه.

وطالَ به الأمرُ، ولم يتهيَّأ له ذلك، وكان بعضُ خواصِّه قد اطَّلع على أمره، فجاء

---

(١) في (خ) و(ف): لامر يبدر فيها. ولعل المثبت هو الصواب. وعبارة الطبري في تاريخه ٩/ ١٠٤: لآمر بحراسته وبذرقته...

والبذرقة: الحفارة. القاموس المحيط (بذرق).

(٢) الطَّلوف: تِرَبٌ يُنفخ فيها، ويُشدُّ بعضها إلى بعض، كهيئة السطح، يُركب عليها في الماء، ويحمل عليها، وتجمع على أطواف. انظر القاموس والمعجم الوسيط (طوف).

الجوسق[١]، وبنى له حبساً مرتفعاً[٢] وسماه لؤلؤة، وكتبَ المعتصمُ إلى عبد الله بن طاهر بأنْ يحتال[٣] على الحسن بن الأفشين وزوجته أُتْرُجَّة بنت أشناس في يومٍ عيَّنه له، وكان الحسنُ قد كثرت شكاويه من نوح بن أسد وأنَّه يتحاملُ على ناحيته وضياعِه، فكتبَ إليه ابنُ طاهر بولاية نوح، وكتبَ إلى نوح يأمُره إذا وصل إليه الحسن بقبضه وشدِّه وإيثاقه، فسارَ الحسنُ، ولا يشكُّ أنَّه والي الناحية، فخرج إليه نوح، فأخذه وشدَّه وثاقاً، وبعث به إلى ابنِ طاهر، فبعثَ به ابنُ طاهر إلى المعتصم.

ذكرُ مناظرة أحمد بن أبي دؤاد
وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات

وابن أبي دؤاد هو القاضي، وإسحاق صاحبُ الشرطة، وابنُ الزيَّات الوزير، فأتي بالأفشين وبالمازيار صاحب طبرستان، وموبذ موبذان، وهو أحد ملوك السُّغد، والمرزبان، وأحضروا رجلين، فكشفوا الثياب عن ظهورهما، فإذا هي عاريةٌ من اللحم، فقال له ابن الزيات: يا حيدر[٤]، هل تعرف هذين؟ قال: نعم، هذا مؤذنٌ، وهذا إمامٌ، بنيا مسجداً بأشروسنة، فضربتُ كلَّ واحدٍ منهما ألفَ سوط، قال: ولم؟ قال: بيني وبين ملوك السُّغد عهدٌ أن أترك كلَّ قومٍ على دينهم، فوثبَ هذان على بيتٍ كانت فيه أصنامهم ـ يعني أهل أشروسنة ـ فأخرجَا الأصنام واتَّخذاه مسجداً، فضربتُهما على تعدِّيهما.

فقال له ابن الزيَّات: فما عندك كتابٌ قد زينته بالجواهر والذهب وجعلته في الديباج، فيه الكفر بالله تعالى؟ فقال: كتابٌ ورثتُه عن أبي، فيه آدابٌ وحكمٌ من آداب الأكاسرة، فأنا آخذُ منه الأدب، وأدفعُ ما سواه؛ ما ذكرت أنَّه كفر، مثلُ كتاب «كليلة

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وهذا اختصار مخلٌّ جدًّا.
ومضمون الخبر أنَّ من اطَّلع على أمر الأفشين جرى بينه وبين أحد القواد حديث فأطلعه على أمر الأفشين، فأخبره القائد أن هذا الأمر لا يمكن ولا يتم، فذكر ذلك للأفشين، وخاف القائد على نفسه، فركب من ساعته إلى أمير المؤمنين حتى أعلمه، فوجَّه المعتصم يدعو الأفشين، فجاء الأفشين، وحبسه المعتصم في الجوسق.
وانظر الخبر بتمامه في تاريخ الطبري ٩/ ١٠٦.

(٢) في (خ) و(ف): مربعاً. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في (خ) و(ف): يحتاط.

(٤) كذا، وهو تحريف. وصوابه: خيذر. انظر ما سلف ص٢٤٦ من هذا الجزء.

ودمنة»، وما ظننتُ أنَّ هذا يخرجني من الإسلام.

فقال ابن الزيَّات للموبذ: ما تقول؟ فقال: إنَّ هذا كان يأكلُ المخنوقة ويحملني على أكلها، ويزعمُ أنَّ لحمها [أرطب][1] لحماً من المذبوحة، وقال لي: إنِّي قد دخلتُ لهؤلاء القوم في كلِّ ما أكره، حتى أكلتُ الزيت، وركبتُ الجمل، ولبستُ النعل، غير أنَّي إلى هذه الغاية لم يسقط عنِّي شعرة، يعني: لمَ يَطَّلِ بالكلس ولم يختتن.

وكان الموبذ إذ ذاك مجوسيًّا، وإنَّما أسلمَ بعد ذلك على يد المتوكل.

فقال الأفشين: خبِّروني عن هذا الذي تكلَّم بهذا الكلام أثقةٌ هو في دينه؟ قالوا: لا، قال: فما معنى قَبولكم شهادةَ من لا تثقون به ولا تعدِّلونه!؟

ثم أقبلَ على الموبذ وقال له: هل كان بيني وبينك بابٌ أو كوَّةٌ تطَّلعُ عليَّ منها وتعرف أخباري؟ قال: لا، قال: أفليس كنتُ أدخلكَ منزلي، فأبثُّك سرِّي وميلي إلى الأعجميَّة وأهلها، قال: نعم، قال: لستَ بالثِّقة في دينك، ولا الكريمِ في عهدك، إذ أفشيتَ عليَّ سرّاً أسررتُه إليك.

ثمَّ تقدَّم المرزبان فقال: يا أفشين، كيف يكتبُ إليكَ أهلُ ملَّتك[2]؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدِّي، فقال ابن الزيَّات: وما كانوا يكتبون إليه؟ قال: يكتبون بالفارسية: إلى الإله من عبده، فقال ابن الزيَّات: أكذا هو؟ قال: نعم، قال: فما أبقيتَ لفرعون حين قال لقومه: «أنا ربكم الأعلى»، فقال: خفتُ أن يَفسُدوا عليَّ بتغيير ما يعهدونه، فقال له إسحاق: ويحَكَ يا حيدر، كيف تحلفُ لنا بالله فنصدِّقك وأنت تدَّعي ما ادَّعى فرعون! فقال له الأفشين: يا إسحاق، هذه سورةٌ قرأها عُجيف على عليِّ بن هشام، وأنت تقرؤها عليَّ، فانظر غداً من يقرؤها عليك.

ثم تقدَّم المازيار، فقالوا له[3]: أتعرف هذا؟ قال: نعم، قالوا: هل كاتبته؟ قال: لا، فقالوا للمازيار: هل كتب إليك؟ قال: كتبَ إليَّ أخوه على لسانه أنَّه لم يكن ينصر

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١٠٨.

(٢) في تاريخ الطبري: مملكتك.

(٣) أي: للأفشين.

هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك ، فأمَّا بابك فإنّه بحمقه قتلَ نفسَه، ولقد اجتهدتُ في صرف الموت عنه، فأبى حمقُه إلى[١] أن دلَّاه فيما وقع فيه، فإن خالفتَ لم يكن للقوم منَ يؤمَرُ بقتالك غيري، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجِّهتُ إليكَ لم يبقَ أحدٌ يحاربنا إلَّا ثلاثة؛ العربُ والمغاربةُ والأتراك، وأمَّا العربيُّ بمنزلة الكلب، اطرح له كسرةً، ثمَّ اضرب رأسه بالدّبوس، وهؤلاء الذئاب ـ يعني المغاربة ـ فإنَّما هم أَكَلَةُ رأس، وأما أولادُ الشياطين ـ يعني الأتراك ـ فإنَّما هي ساعةٌ حتى تنفد سهامُهم، ثم تجولُ عليهم الخيلُ جولةً[٢] فتأتي على آخرهم، ويعود الدينُ إلى ما لم يزل عليه أيَّام العجم.

فقال الأفشين: هذا يدَّعى على أخي دعوى لا تسمع عليه، ولو كنتُ كتبت إليه بهذا الكتاب لأستميله[٣] إليَّ حتى يثق بي كان غيرَ مستنكرٍ؛ لأنِّي إذا نصرتُ الخليفةَ بيدي، كنتُ أنْ أنصرَه بالحيلة أحرى؛ لآخذه بقفاه، وآتي به الخليفةَ فأحظى عنده كما حظي عنده عبدُ الله بن طاهر.

فزجر أحمدُ بن أبي دؤاد الأفشينَ لمَّا قالوا له ما قالوا، فقال له الأفشين: أنت يا [أبا][٤] عبد الله ترفعُ طيلسانك بيدك، فلا تضعُه على عاتقك حتى تقتلَ به جماعة، فقال له ابن أبي دؤاد: أمطهَّرٌ أنت؟ قال: لا، قال: فما منعَك من ذلك، وبه تمامُ الإسلام والطهور من النجاسة؟ قال: أوليس في الإسلام استعمال التقيَّة؟ قال: بلى، قال: خفت أن أقطع ذلك العضو مني فأموت، فقال أحمد: أنت تطعن بالرمح وتضربُ بالسيف، فما يمنعُك ذلك من أن تكونَ في الحرب، وتخافُ من قطع[٥] قلفة؟! قال: تلك ضرورةٌ أصبرُ عليها، وأمَّا القلفة فلا وأبي أخرج بها من الإسلام![٦]

---

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ١٠٩ : إلا.

(٢) في (خ) و(ف) : جولي.

(٣) في (خ) و(ف): لاستمليته. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ١٠٩ وغيره.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ١١٠ ، والكامل ٦/ ٥١٥ .

(٥) في (خ) و(ف) : قطعة.

(٦) كذا، ونص العبارة في تاريخ الطبري ٩/ ١١٠ : ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام.

فقال ابن أبي دؤاد: وقد بانَ لكم أمره، ثم التفتَ ابن أبي دؤاد إلى بغا الكبير فقال: عليك به، فضربَ بغا على منطقته بيده، فجذبَها، فقال: قد كنتُ أتوقَّع منكم هذا قبلَ اليوم، فقلب بغا ذَيل القباء على رأسه، ثم أخذ بمجامعه، ورَدَّه إلى حبسه[١].

[وفي هذه السنة][٢] رجفتِ الأهوازُ وتصدَّعت الجبالُ، وخصوصاً الجبل المطلُّ على الأهواز، وسقط معظمُ البلد ونصف الجامع، وهرب أهلها إلى البرِّ والسفن، ودَامت أيَّاماً.

وحجَّ بالناس محمد بن داود[٣].

[فصل] وفيها توفي

سَعْدُويَه

واسمه سعيدُ بن سليمان، وكنيته أبو عثمان، الواسطيّ الواعظ البزَّاز. سكن بغداد.

[قال الخطيب:] امتُحنَ في القرآن فأجاب، فقيل له بعد ذلك: ما فعلت؟ فقال: كفرنا ورجعنا[٤].

وكانت وفاته في ذي الحجَّة ببغداد، وله مئة سنة.

حدَّث عن [الليث بن سعد، وزهير بن معاوية، وحمَّاد بن سَلَمة، وغيرهم،][٥] وروى عنه يحيى بن معين، [وأبو زُرعة، وأبو حاتم في آخرين.

قال الخطيب:] وكان ثقةً مأموناً[٦].

حجَّ ستينَ حجَّةً[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ١٠٧-١١٠ ، والكامل ٦/ ٥١٣-٥١٦ .

(٢) في (خ) و(ف) : وفيها. وما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) المنتظم ١١/ ٩٩ .

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢١ .

(٥) في (خ) و(ف) : حدث عنه المسيب وغيره؟! والمثبت بين حاصرتين من (ب) .

(٦) تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠ نقلاً عن أبي حاتم.

(٧) تاريخ بغداد ١٠/ ١١٩-١٢٣ ، والمنتظم ١١/ ١٠١ ، وتهذيب الكمال ١٠/ ٤٨٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨١ .

أبو عمر[١] صالح بن إسحاق

النحويّ الجَرْميّ؛ وإنَّما سُمِّي الجَرْميّ؛ لأنَّه نزل في قبيلةٍ من جَرْم، فنُسِبَ إليها. وقيل: كان مولاهم. وقيل: مولى بَجيلة[٢].

وكان إماماً عالماً فاضلاً، يعرف العربيَّة والنحو وأيَّام الناس وأشعار العرب، وله اختياراتٌ وأقوالٌ وتصانيف ومقدِّمةٌ في النحو مشهورة، وكان ممَّن اجتمع له مع العلم صحَّةُ الاعتقاد وحسنُ المذهب، وقَدِم بغداد، وناظرَ يحيى بن زياد الفرَّاء، وظهر عليه.

وحَكى ثعلب عن ابن قادم قال: قدم الجرميُّ بغداد، فقال الفراء: إنِّي أحبُّ لقاءه، فجمعتُ بينهما، فغلبه الجرميُّ وأفحمه، فندمتُ على جمعي بينهما، قال ثعلب: فقلت لابن قادم: لم ندمتَ؟ قال: لأنَّ علمي علمُ الفراء، فلمَّا رأيتُه مقهوراً قلَّ في عيني، ونقص علمُه عندي.

أسندَ الحديث عن يزيد بن زُريع وغيره، ورَوى عنه أحمد بن مُلاعب المُخَرِّمي[٣] وغيره، وكان ذا ورعٍ ودين[٤].

عبدُ الله بن عَمرو

ابن أبي الحجاج، أبو مَعْمَر المِنْقَريُّ البصريُّ، كان فاضلاً.

قال: روى لنا شعبةُ يوماً قول كعبِ بن مالك الأنصاريّ من أبيات: [من الوافر]

قَضينَا من تهامةَ كُلَّ ريبٍ ... وخيبرَ ثمَّ أجمعنا[٥] السيوفَا
نسائِلُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطعُهنّ دَوْساً أو ثقيفَا
فلستُ لمالكٍ[٦] إن لم نزركُمْ ... بساحةِ دارِكم منّا الضيوفَا[٧]

---

(١) في (خ) و(ف) : أبو عمرو. والمثبت من المصادر. ومن هذه الترجمة إلى بداية ترجمة علي بن رزين ليس في (ب)

(٢) هو بجيلة بن أنمار بن أراش بن الغوث بن خثعم، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٦.

(٣) في (خ) و(ف) : المخزومي. وهو تحريف.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٤٢٦ ، والمنتظم ١١/ ١٠١ ، وتاريخ الإسلام ٥/ ٥٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦١ .

(٥) كذا في (خ) و(ف) وتاريخ بغداد ١١/ ٢٠٢ ، وفي ديوان كعب ص١٨٨ : أجمنا.

(٦) في (خ) و(ف) : بمالك، والمثبت من تاريخ بغداد. ووقع في ديوان كعب: لحاضن.

(٧) كذا في (خ) و(ف) ، وفي تاريخ بغداد، وديوان كعب: ألوفا. بدل: الضيوفا.

ونـنـتـزعُ الـعـروسَ عـروسَ وجٍّ وتـصـبـح دارُكـم مـنـا[١] خُـلُـوفـا

فصحَّفَ شعبةُ، ورواها عروس بسين مهملة، فقلت له: وأيُّ عروسٍ كانت؟ قال: فما هي؟ قلت: عروش، بشين معجمة، فكان بعد ذلك يكرمني ويرفع منزلتي.

سمع شعبةَ وعبد الوارث بن سعيد ـ وبه يعرف، يقال: صاحب عبد الوارث ـ وغيرهما.

ورَوى عنه البخاريُّ وغيره، وكان تقيًّا ثقةً، وأُقعِدَ في آخر زمانه[٢].

[وفيها توفي]

علي بن رَزِيْن

أبو الحسن الخراسانيّ الترمذيّ، ويقال: الهرويّ، أستاذ أبي عبد الله المغربي.

كان صاحبَ آياتٍ وكرامات، [روى أبو جهضم أنَّه] شاعَ في الناس أنَّه يشربُ في كلِّ أربعة أيَّام[٣] شربةً من ماء، فسأله رجلٌ من أهل قَرْميسين عن ذلك، فقال: وأيُّ شيء في ذلك، سألتُ الله أن يكفيني مؤنةَ بطني، ففعل.

وله سياحاتٌ مشهورةٌ، وقال السلميّ: ماتَ ابن رَزين في هذه السنة، ودُفن على جبل الطُّور، وعمره عشرونَ ومئة سنة.

[وقال إبراهيم بن شيبان: كان يقال إن ابن رَزين صَحِب الحسن البصري.][٤]

أبو دُلَف العِجْليّ

واسمه القاسمُ بن عيسى بن إدريس بن مَعْقِل بن سيّار[٥] بن شمخ، وقيل: [بن] شيخ الخزاعيّ[٦]، من ولد عِجْل بن لُجَيْم، [وذكره الخطيب فقال: أبو دُلَف العجليّ] أمير الكَرَج.

---

(١) كذا في (خ) و(ف): وفي تاريخ بغداد، وديوان كعب: منكم.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٠١-٢٠٤، وتهذيب الكمال ١٥/ ٣٥٣-٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ٦٠٦-٦٠٧.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وليست في (ب). وفي صفة الصفوة ٤/ ١٦٧، والمنتظم ١١/ ١٠٢: أربعة أشهر.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) في (خ) و(ف): سنان، وفي (ب): هلال. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ٣١٩ (طبعة مجمع اللغة العربية).

(٦) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٧. وما بين حاصرتين من (ب).

كان شجاعاً جواداً شاعراً أديباً فصيحاً سخيًّا، ورد بغداد عدَّة دُفعات، و[قال أبو نُعيم]: كان من الأجواد الممدَّحين، تولى محاربة الخرَّمية، فأفناهم[١].

[ذكرُ طرفٍ من أخباره:

قد ذكره أربابُ السير، كالقاضي التنوخيّ في كتاب «الفرج بعد الشدَّة»، وكالخطيبِ وابن عساكر وغيرهم، فروي عن إبراهيم بن الحسن بن سَهْل قال:][٢] كنَّا في موكب المأمون، فجاء أبو دُلَفٍ فترجَّل، فقال له المأمون: ما أخَّرك عنِّي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، [مرضٌ عرضَ لي، فقالَ له المأمون:] شفاك الله وعافاك، اركب، فوثبَ من الأرض إلى الفرس من غير أنْ يمسَّ بيده قَرَبُوس سرجه، فقال له المأمون: ما هذه وثبةُ مريض! فقال: بدعاءِ أمير المؤمنين شُفيت[٣].

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان أبو دُلَف في جملة من كان مع الأفشين يحاربُ بابك، ثم تنكَّر له، وأخذه لمَّا قدمَ إلى سرَّ من رأى ليقتلَه، فقال المعتصم لابن أبي دؤاد: أدركه، ما أراك تلحقُه، وتلطَّف في خلاصه كيف شئت.

قال ابن أبي دؤاد: فركضتُ إلى داره ركضاً، فدخلت وإذا بأبي دُلَف قائمٌ بين يديه، وقد أخذ بيده غلامان تركيَّان، وهو يريد قتلَه، فرميتُ بنفسي على البساط، وكان من عادته أن يفرش لي مُصَلى، فقال: سبحان الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت حملتني عليه، وكلَّمته في القاسم وخضعت له، وهو لا يزدادُ إلَّا غِلْظةً، فقلت في نفسي: هذا عبد، وقد خضعتُ له ولم ينفع، وليس يؤخذُ إلَّا بالرهبة، فقمت قائماً وقلتُ له: كم تقتلُ أولياءَ أميرالمؤمنين واحداً بعد واحد، وتخالفُ أمرَه في قائدٍ بعد قائد؟! إنَّ أمير المؤمنين يقولُ لك: إن قتلته قتلَك، فذلَّ ولَصِقَ بالأرض واضطرب، فأخذتُ بيد أبي دُلَفٍ وخرجت، وهو يقول: لا تفعل، فقلت: قد فعلتُ بأمر أمير المؤمنين[٤].

وفي رواية القاضي التنوخيّ أنَّ أبا دُلَف كان مع الأفشين في حرب بابك، فحسدَه

(١) انظر أخبار أصبهان ٢/ ١٦٠.

(٢) في (خ) و(ف): وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل، وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٢، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٣.

(٤) الأغاني ٨/ ٢٥٠-٢٥١.

الأفشين لشجاعته وكرمه، فلمَّا عاد من حرب بابك سألَ المعتصمَ أنْ يطلق [يدَه على][١] أبي دُلَف، وما كان يخالفُه في شيء، وكان يَدخلُ على المعتصم بغير إذن، فأطلقَه، فأخذه فقيَّده، وبلغ ابنَ أبي دؤاد، فدخلَ على الأفشين وقال: أبو دُلَفٍ فارسُ العرب وشريفُها وملكها، وقد علمتَ ما كان من كسرى إلى النعمان حيث ملَّكه على العرب، وأنتَ اليوم بقيَّةُ كسرى، فكن شريفَ العجم، كما أنَّ القاسم شريفُ العرب، فلم يجب، فقلت: أميرُ المؤمنين قد أطلقَه، وأخذت بيده وخرجت[٢]، ودخلتُ على المعتصم فأخبرتُه، فقال: قتلني الله إن لم أقتله، وإذا بالأفشين قد جاء، فقال: يا أمير المؤمنين، أطلقتَ يدي في رجلٍ سعى في دمي، وفعل ما فعل، ثم بعثت إليَّ مع أحمد تلك الرسالة، فقال: نعم، لا تعترضْ للقاسم، فقام الأفشينُ متذمِّماً، واتبعتُه لأتلافاه، فصاح بي المعتصم: ارجعْ أبا عبد الله، وأطلق أبا دُلَف من القتل.

وبعث الأفشين إلى ابن أبي دؤاد يقول له: لا تقربني، فقال لرسوله: قل له: إنما أنت رجلٌ رفعتكَ دولة، فإن جئتكَ فلها، وإن قعدتُ فعنك، وما أتيتك من قلَّة، ولا اعتززت بك من ذلَّة[٣].

وقال أبو عبد الرَّحمن التَّوَّزي: استهدى المعتصم من أبي دُلَف كلباً للصيد، فجعل في عنقه قلادةً وكتب عليها: [من المنسرح]

أوصيكَ خيراً به فإنَّ له ... خلائقاً لا أزالُ أحمدُها
يدلُّ ضيفي علي في ظُلَم الليـ ... ـل إذا النارُ نامَ موقدُها[٤]

[وروى الخطيب عن العتَّابي قال:][٥] اجتمعنا على باب أبي دُلَف جماعة، وكان يعدنا بأموالٍ تأتيه من الكَرَج وغيره، فجاءته الأموال، فبسَط [الأنطاع]، وجلسنا حوله، فقام قائماً، واتكأ على قائم سيفه وقال: [من الطويل]

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر الفرج بعد الشدة ٢/ ٧٠ وما بعدها.
(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٧٣: ونفضت في وجهه يدي ونهضت.
(٣) انظر الفرج بعد الشدة ٢/ ٦٧-٧٥.
(٤) تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٣٤. ومن قوله: وقال أبو الفرج الأصبهاني... إلى هنا ليس في (ب).
(٥) في (خ) و(ف): وقال العتابي. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

ألا أيُّها الزوَّارُ لا يدَ عندكم أياديكم عندي أجلُّ وأكبرُ
فإن كنتمُ أفردتُموني للرَّجا فشُكري لكم من شكركم ليَ أكثرُ
كفاني من مالي دِلاصٌ وسابحٌ وأبيضُ من صافي الحديد ومِغْفَرُ[1]

ثم أمر بنهب تلك الأموال، فأخذَ كلُّ واحدٍ على قدر قوَّته.

وقال الفضلُ بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ: كان لرجلٍ حجازيٍّ جاريةٌ حسناء، وكانت شاعرةً حاذقةً بالغناء، فأملقَ، فقدم بغداد، فلم يَحْظَ بطائل، وكان شاعراً، فقيل له: عليك بأبي دُلَف، فخرج إليه إلى الكَرَج فامتدحه، وباعَه الجاريةَ بثلاثة آلاف دينار، ووصلَه، ورجعَ إلى بغداد حزيناً باكياً على فقد الجارية، فسلماها إليه، فسألها عن حالها[2]، فقالت: لمَّا فارقتُك استوحشتُ وامتنعتُ من الطعام والشراب والنوم، فدعاني أبو دُلَف وقال: غنِّي، فخنقتني العبرةُ، ولم أستطع الكلام، فجفاني واطَّرحني، وجعلني في حجرةٍ، وأقام عندي امرأة تخدمني، فقلتُ أبياتاً وكتبتها في ورقة، وكنت أتسلَّى بها وهي: [من البسيط]

لو يَعلمُ القاسمُ العِجْليُّ ما فعلا لعاد معتذراً ومطرقاً خجلَا
ماذا دعاه إلى هجرِ المروءة في تفريقِ إلفينِ كانَا في الهوى مَثَلَا
فإنَّ مولاي أصمتهُ الخطوبُ بما لو مرَّ بالطفلِ عاد الطفلُ مكتهلَا
فباعني بيع مضطرٍّ وصيَّرهُ فرطُ الندامةِ بعد البين مختبِلَا
وبتُّ عادمةً للصبر باكيةً كأنَّني مُدْنَفٌ قد شارفَ الأجلَا
بين الضرائرِ أُدعى بالغريبةِ إن هفوتُ لم ألقَ[3] لي في الناس محتمِلَا
فما تبدَّلتُ إلفاً بعد فُرقَته ولا تَعوَّضَ مني عابرٌ[4] بدلَا

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٠ . وما سلف بين حاصرتين من (ب) .
والدِّلاص من الدروع اللينة، والفرس السابح الذي يسبح بيديه في سيره أي يجري. انظر اللسان (دلص) ، (سبح) .
(٢) كذا في (خ) و(ف) . وفيه اختصار مخل أو سقط، وخلاصة الخبر أنَّ الحجازي عاد إلى منزله فوجد الجارية، وقد أهداها له أبو دلف. انظر المنتظم ١١/ ١٠٦ .
(٣) في (ف) : ألف.
(٤) في المنتظم ١١/ ١٠٧ : غادر.

قالت: واتَّفق أنَّ أبا دُلَف اجتازَ بباب الحجرة، فدخل لينظرَ هل خفَّ ما أجد، فجلس يعاتبني ويرفقُ بي، فوجدني على حالي والرقعةُ بين يدي، فأخذَها ونظر فيها وقال: الآن يئستُ منك، وإن رددتُك على مولاك، فمن يردُّ علي المال؟ فقلت: الذي قبضَه منك، أو ما بقيَ منه وهو الأكثر، والله تعالى يخلفُ عليك ما ذهبَ منه، فأطرقَ ساعةً، ثم قال: بل يخلفُ الله الأصلَ، وقد رددتُكِ على مولاك، ووهبتُ لك ما أعطيتُك من الحلي والجواهر والمتاع؛ لحسن عهدك ورعايتك حقَّ الصحبة، فاستتري منِّي، فقد خرجتِ من ملكي، ثمَّ جهَّزني مع خادمٍ وامرأة وأعطاني كسوةً وكراعاً وثياباً، فقلت له: يا مولاي، قد حضرَ بيتان، فقال: قُولي، فقلت: [من البسيط]

لم يخلق الله خلقاً صيغَ من كرمٍ ... إلَّا أمير الندى المكنى أبا دُلَفِ
رَثى لمحزونةٍ بالبين مُدْنفَةٍ ... فردَّها طالباً أجراً على دنفِ

فدمعت عيناه، وأمر لي بخلعة ومئةِ دينار، وردَّني إلى مولاي.

قال اليزيديُّ: فسمرتُ ليلةً عند المأمون، وحدَّثتهُ الحديثَ، فاستحسنه وقال: ما قصَّرتِ الجاريةُ في حفظِ عهد مَن ربَّاها، وما قصَّر القاسمُ في فعله، ونحتاجُ إلى أن نقوِّيَ نيَّته[1] في مثل هذا الفعل الجميل الذي هو معدودٌ من مفاخرِ أيَّامِنا، فقل لأحمد ابن أبي خالد[2] يبعث إلينا مالاً، ونكتب إليه نعرفه انتهاءَ الحالِ إلينا، واستحسنا ما فعلَه[3]؛ ليزدادَ حرصاً على انتهازِ الفرص في مثل هذه المكارم.

وقال الصوليُّ: تذاكرنَا يوماً عندَ المُبَرِّد في الحظوظ والأرزاق، وأنَّ الإنسان يأتيه رزقه من حيث لا يحتسب، قال: [هذا يقع كثيراً، فمنه قول][4] ابن أبي فنن قال أبياتاً اتِّفاقيةً لمعنى أراده وهي: [من البسيط]

مالي ومالكِ قد كلَّفتِني شططاً ... حَمْلَ السلاح وقولَ الذَّارعين قفِ
أمِنْ رجالِ المنايا خِلْتِني رجلاً ... أمسي وأُصبِح مشتاقاً إلى التَّلَفِ

(١) في المنتظم ١١/ ١٠٨ : نقوي عزمه.
(٢) في المنتظم ١١/ ١٠٨: لأحمد بن أبي طاهر.
(٣) كذا، وفي المنتظم ١١/ ١٠٨: وإحمادنا لما اعتمد.
(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٤/ ٤١١ ، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٦ ، والمنتظم ١١/ ١٠٥ .

تمشي المنونُ إلى غيري فأكرهها فكيف أسعَى إليها بارزَ الكتفِ
أم هل حسبتِ سوادَ الليل شجَّعني أو أنَّ قلبيَ في جَنْبَي أبي دُلَفِ

فبلغ أبا دُلَفٍ هذا الشعرُ فبعثَ إليه بأربعة آلاف دينار، جاءته على بغتة.

وقال الأصمعيُّ: دخلَ أبو دُلَفٍ يوماً على المأمون وقد نَصَلَ خضابُه، وعنده جاريةٌ، فغمزَها عليه، فقالت له: شبتَ يا أبا دُلَف، واسترجَعَتْ، فأعرض عنها، فقال له المأمون: ألا تجيبُها، فأطرقَ ساعةً ثمَّ رفعَ رأسه وقال: [من البسيط]

تَهزَّأتْ أن رأتْ شيبي فقلتُ لها لا تهزئي من يَطُل عمرٌ به يَشبِ
شيبُ الرجال لهم زينٌ ومكرُمةٌ وشيبُكُنَّ لكنَّ العارُ فاكتئبي
فينا لَكُنَّ وإن شيبٌ بدا أربٌ[1] وليس فيكنَّ بعد الشيبِ من أربِ[2]

واجتمعَ الشعراءُ بباب أبي دُلَف، ولم يكن عنده مالٌ، فحجبَهم حياءً منهم، واعتذر إليهم، فكتبوا: [من الخفيف]

أيُّهذا العزيزُ قد مسَّنا الدَّهْـ ـرُ بضُرٍّ وأهلُنا أشتاتُ[3]
وأبونا شيخٌ كبيرٌ فقيرٌ ولدينا بضاعةٌ مُزْجَاةُ
قلَّ طُلَّابها فبارَتْ علينا وبضاعتُنا بها التُّرَّهاتُ
فاغتنم شكرَنا وأوفِ لنا الكَيْـ ـلَ صدِّق[4] فإنَّنا أمواتُ

فقال: أبوا أنْ يضربوا وجهي إلا بسورة يوسف، فدعا بهم وقال: والله ما معي درهم، وأنا معكم كما قيل: [من الوافر]

لقد أُخبرتُ أنَّ عليك ديناً فزد في رقم دينك واقضِ ديني

يا غلام، اقترض لهم عشرين ألفاً بأربعين ألفاً، فأخذوها وانصرفوا[5].

---

(١) في (خ) و(ف): وإن شبنا بذا الكرب. وهو تحريف.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٥٢.
(٣) وقع في هذا البيت تصحيف في (خ) و(ف) ونصُّه:
أيها العزيز قد مسنا الضـ ـر نحن جمع وأهلنا أشتات.
(٤) في (خ) و(ف): وتصدق. والمثبت من تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٩.
وصدَّق عليه كتصدَّق. لسان العرب (صدق).
(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٩.

ودخل أبو دُلَف على المأمون، وكان قد تنكَّر له، فنظر إليه شَزراً، وقال له: أنت الذي يقول فيك عليُّ بن جبلة: [من الطويل]

لـه راحـةٌ لـو أنَّ مـعـشـارَ عـشـرهـا ... على البَرِّ كان البَرُّ أندى من البحرِ
لـه هِـمَـمٌ لا مـنـتـهـى لـكـبـارهـا ... وهـمَّـتُـه الـصـغـرى أجـلُّ مـن الـدَّهـرِ
أبـا دُلَـفٍ بُـوركـت فـي كـلِّ وجـهـةٍ ... كـمـا بـوركَـتْ فـي شـهـرِهـا لـيـلـةُ الـقـدرِ

فقال: ما أعرفُ من هذا حرفاً، فقال: بلى، وفيك يقول أيضاً: [من البسيط]

مـا قـالَ لا قـطُّ مـن جـودٍ أبـو دُلَـفٍ ... إلَّا الـتـشـهـد لـكـن قـولُـه نـعـمُ

فقال: ما أعرفه، قال: بلى، وفيك يقول أيضاً: [من البسيط]

اللهُ أجـرَى مـن الأرزاقِ أكـثـرهـا ... على العبادِ على أيدي أبي دُلَفِ[1]
مـا خـطَّ لا كـاتـبـاهُ فـي صـحـيـفـتِـه ... كـمـا تُـخـطَّـطُ لا فـي سـائـرِ الـصـحـفِ
أعـطـى أبـو دُلَـفٍ والـريـحُ جـاريـةٌ ... حـتـى إذا وقـفـتْ أعـطـى ولـم يـقـفِ

قال: ما أعرفه، قال: بلى، وهو القائلُ فيك أيضاً: [من المديد]

إنَّـمـا الـدنـيـا أبـو دُلَـفٍ ... بـيـن بـاديـهِ[2] ومـحـتـضـرِهْ
فـإذا ولَّـى أبـو دُلَـفٍ ... ولَّـتِ الـدنـيـا عـلـى أَثَـرِهْ[3][4]

فقال: ما أعرفه، قال: بلى، وأعطيتَه عليهما ثلاثينَ ألفاً، فقال: مكذوباً علي، وأصدقُ منه قول القائل: [من الطويل]

دَعـيـنـي أجـوبُ الأرضَ ألـتـمسُ الـغـنـى ... فـلا الـكَـرَجُ الـدُّنـيـا ولا الـنـاسُ قـاسـمُ
إذا كـانـت الأرزاقُ فـي كـفِّ قـاسـمٍ ... فـلا كـانـت الـدُّنـيـا ولا كـانَ قـاسـمُ

فضحكَ المأمون وسكنَ غضبُه[5].

---

(١) هذا البيت لم يذكره ابن عساكر. تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) في تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق: عند مغزاه... وذكره بمثل رواية المصنف ابن الجوزي في المنتظم ١١/ ١٠٤.

(٣) من قوله: وقال: الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي... إلى هنا ليس في (ب).

(٤) البيتان لم يذكرهما ابن عساكر في تاريخه في سياق هذه القصة، وإنما أوردهما من طريق الخطيب البغدادي في رواية أخرى للخبر مختصرة. انظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣ وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢-٣٢٣. وانظر التعليق التالي.

(٥) وقع في (ب) ذكر الخبر المختصر الذي أشرت إليه في التعليق السابق، وهاك نصه:
وحكى الخطيب عن الرَّبَعي قال: قال المأمون وهو مقطِّبٌ: أنتَ الذي يقول فيك الشاعر:

وقال الأصمعيُّ: كتبَ إليه رجلٌ يقول: إنِّي مديون، فكتب أبو دُلَف: وأنا والله مديون، فكتب إليه الرجل: [من الوافر]

وقد خُبِّرتُ أنَّ عليك ديناً ... فزدْ في رقمِ دينِك واقْضِ ديني

فقال: نعم، فاستدان، وقضى دينه[١].

[وذكر][٢] العتبيّ أنَّ جاراً لأبي دُلَف ركبه دينٌ، فأرادَ بيع داره فساومَهم فيها ألف دينار، فقالوا: قيمتُها خمسُ مئة، فقال: نعم، أبيعُكم إيَّاها بخمس مئة [دينار]، وجوارُ أبي دُلَف بخمس مئة دينارٍ أخرى، وبلغَ أبا دُلَفٍ فأرسلَ إليه بألف دينار، وقال: لا تبعْ دارك، ولا تنتقل من جوارنا، وقضَى دينه[٣].

و[قال العتبيُّ:] وقف ببابه شاعرٌ مدَّةً، فلم يصل إليه، فكتب إليه: [من الوافر]

إذا كان الكريمُ له حجابٌ[٤] ... فما فضلُ الكريم على اللئيمِ

[فكتب عليها: جواب ذلك[٥]]: [من الوافر]

إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ ... ولم يُعذَر تعلَّلَ بالحجابِ[٦]

ووقف ببابه رجلٌ فلم يصل إليه، فكتب إليه: والله إنِّي لأعرفُ أقواماً لو علموا أنَّ

= إنما الدنيا أبو دُلَفٍ ... بين باديها (كذا) ومحتضره
فإذا ولَّى أبو دُلَف ... ولَّت الدنيا على أثره

فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول غرور، وأصدق منه قول القائل: [من الطويل]

دعوني أجوب الأرض ألتمسُ الغنى ... فلا الكَرَجُ الدنيا ولا الناسُ قاسمُ
إذا كانت الأرزاقُ في كفِّ قاسمٍ ... فلا كانت الدنيا ولا كان قاسمُ

فضحك المأمون وسكن غضبه

انتهى مصححاً ما فيه من تحريف. وانظر تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٢.

(١) انظر وفيات الأعيان ٤/ ٧٥-٧٦.

(٢) في (خ) و(ف): وقال والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) انظر العقد الفريد ١/ ٢٥٦، وفيه أنه ساومهم على داره بألفي درهم، وجعل لجوار أبي دلف ألفاً وخمس مئة دينار. وفيه أن أبا دلف قضى دينه.

(٤) في (خ) و(ف). عجاف. والمثبت من (ب).

(٥) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): فكتب إليه.

(٦) انظر العقد الفريد ١/ ٧٤.

سفَّ الترابِ يقيمُ أصلابَهم لجعلوه مُسْكَةً لأرماقهم؛ إيثاراً للتنزُّه عن عيشٍ رقيق الحواشي، فتحبَّب إلى الناس بتسهيلِ الحجاب، فإنَّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحبِّ الله تعالى، وكذا بغضهم؛ لأنَّهم شهداء الله في أرضه، ورقباؤه على من اعوجَّ عن سبيله، فاعتذرَ عليه ووصله[١].

وقال محمَّد بن حامد: كان العمريُّ الشاعرُ عند المأمون، فأنشدَ بعضُ الحاضرين: [من الطويل]

إذا لم تَصُنْ عِرْضاً ولم تخشَ خالقاً وتستحي مخلوقاً فما أنتَ صانعُ

فقال العمريُّ: لمن هذا؟ قال المأمون: لأبي دُلَف، فقال العمريُّ: والله لئن لقيتُه لأبولنَّ عليه.

فما استتمَّ كلامَه حتى دخل الحاجبُ فقال: القاسمُ على الباب، جاء من عند ابن طاهر، فأذِنَ له، فدخلَ فسلَّم عليه بالخلافة، فأحسنَ الردَّ، وقرَّبه، ورحَّبَ به، وقال: كيف خلَّفتَ أبا العباس ـ يعني عبد الله بن طاهر ـ فقال: خلَّفتُه أمينَ غيبة، نقي الجيب، يتَّقي الرِّماح بصدره، والسهام بنحره في طاعة أمير المؤمنين، قامَ[٢] في الأمور على ساق التسهير[٣]، يردعُها بكيده، ويفلُّها بحدِّه، فهو في شجاعته كما قال العباس بن مرداس: [من الوافر]

أَشُدُّ على الكتيبة لا أُبالي أفيهَا كان حتفي أم سِوَاهَا

وفي سخائه كما قال زهير: [من الطويل]

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً كأنَّك تعطيه الذي أنت سائلُه[٤]

وفي عفَّته كما قال الأسود: [من الكامل]

وأغضُّ طرفيَ ما بدت لي جارتي حتَّى يواري جارتي مأواهَا[٥]

---

(١) هذا الخبر أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢/ ٢٠١، وابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ٧٢، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ٨٩، وفيها أن الموعوظ هو سعيد بن سلم والي إرمينية.

(٢) في (ف): فأقام.

(٣) في (ف): ساقي التشهير.

(٤) ديوان زهير ص١٤٢.

(٥) ديوان عنترة ص٣٠٨ (طبعة المكتب الإسلامي).

فقال العمريّ: من هذا؟ قال: الذي آليتَ أن تبولَ عليه، فقال: أنت أبو دُلَف؟ قال: أنا القاسم. ولم يتكنَّ بحضرة أمير المؤمنين، فقال: قلْ بيتاً على هذه القافية والوزن: [من الرمل]

خذ يا قاسم كأساً مرَّةً مرَّةً كأساً يا[1] قاسمُ خذْ

فأطرقَ أبو دُلَف ساعةً، فقال العمري: إنَّ أهل الجبال بأكلهم الحشرات أحذقُ منهم بقول الشِّعر، فرفع أبو دُلَفٍ رأسَه وقال: والله ما عجزتُ عنه، ولقد أجزتُه من حين سمعتُه، وإنما أُطرقُ تعجباً منك، كيف هجوتَني من غير معرفةٍ ولا سبب، وقد سمعت بذكري على لسان الركبان؟! بل الحسد، ثمَّ قال: [من الرمل]

لذَّ شربُ الكاسِ يا صاحِ لنا ولنا يا صاحِ شربُ الكاس لذ
من يغنِّيني ببيتٍ بعده شذَّ عنه مسلكٌ للخير شذ
وأيور الزنج من حِر امِّهِ مذ برا الله أيورَ الزنج مذْ

فقال له المأمون: مه، فإنَّه العمريّ، فقال العمريّ: ما ظننتُ أنَّ الجبال تُخْرِجُ مثله، فقال المأمون: إنَّ بالجبال قوماً يعطون السيف حدَّه، والشعر حظَّه، والمال حقَّه، وإنَّ القاسم وأهله منهم[2].

وقال العتبي: كان أبو دُلَف مع جلالة قدره وعلوِّ منزلته وفضله مولعاً بالغناء، حسنَ الضرب بالعود.

قال المعتصم يوماً لأحمد بن أبي دؤاد: تريدُ أن أسمعكَ غناء صديقك، فقال أحمد: القاسم في شجاعته وبراعته وكرمه أعظمُ من هذا، فضرب بستارة، وجعل أبو دُلَفٍ خلف[3] منها، وقال: غنِّي، فغنَّى، فقال المعتصم لابن أبي دؤاد: ما تقول في هذا؟ ولم يعلم أنَّه القاسم، فقال: أسمعُ غناءً حسناً، وأميرُ المؤمنين أعلمُ منِّي بهذا، فأشار المعتصم إلى من هتكَ الستارة، وإذا بأبي دُلَف، فتحيَّر أحمد، وقال: ويحكَ يا ماجن،

(١) كذا في (خ) و(ف). ولعلها: أيا. في الموضعين.
(٢) من قوله: ووقف ببابه رجلٌ فلم يصل إليه . . . إلى هنا، ليس في (ب).
(٣) كذا في (خ) و(ف).

ما هذا؟ فقال: أُجبرت، قال: فهب أنَّك أُجبرت، من أجبرك على أن تحسن الغناء[١]؟

[ذكر وفاته:

قال الصوليُّ: مات أبو دُلف ببغداد في هذه السنة.

وقال الخطيب:][٢] حدَّث عن هُشيم بن بشير، وروى عنه الهيثمُ بن زياد.

[وروى الخطيب بإسناده إلى] دُلَف ابن أبي دُلَف [العجليِّ قال:] لمَّا مات أبي رأيتُ في المنام [كأنَّ] آتياً أتاني فقال: أجب الأمير، فقمتُ معه، فأدخلني داراً وَحْشَةً وعرةً، حيطانها سود، فصعد بي إلى غرفةٍ، فأدخلني إيَّاها، وإذا في حيطانها أثرُ النيران، وفي أرضها رماد، وإذا بأبي عريان، واضع رأسَه بين ركبتيه، فقال [لي] كالمستفهم: دُلَف؟ قلتُ: نعم، أصلح الله الأمير، فقال: [من الخفيف]

أَبْلِغَنْ أهلَنا ولا تخفِ عنهم ... ما لَقينا في البرزخ الخَنَّاقِ

قد سُئلنا عن كلِّ ما قد فَعَلنَا ... فارحموا وحدَتي[٣] وما قد ألاقِي

أفهمت؟ قلت: نعم، فقال: [من الوافر]

ولو أنَّا إذا مِتْنَا تُرِكنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حيِّ

ولكنَّا إذا مَتْنَا بُعِثنا ... ونُسألُ بعده عن كلِّ شيِّ

[ثم قال:] انصرف، قال: فانتبهت.

[وفيها توفي]

منصور بن عمَّار بن كثير

أبو السريِّ، الواعظُ الخراسانيّ، وقيل: البصريّ، [وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي:][٤] هو من أهل مرو، من قريةٍ يقال لها: دَنْدانَقان، وقيل: هو من أَبِيوَرْد،

(١) من قوله: قال المتعصم يوماً لأحمد . . . إلى هنا. ليس في (ب). وانظر الخبر في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٤-٤١٥، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) في (خ) و(ف): وكانت وفاته ببغداد، والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٥، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٣٤٠: وحشتي.

(٤) في (خ) و(ف): وقيل. وما بين حاصرتين من (ب).

وقيل: من بُوْشَنج.

رحل إلى العراق [وحدَّث بها]، وأوتي الحكم، ولم يقصّ أحدٌ في زمانه مثله.

[وذكره ابنُ خميس في «المناقب» وقال: كان من أحسن الواعظين كلاماً، ومن حكماء المشايخ،][(١)] كبيرَ الشأن في علم الورع والتقلُّل.

[قال:] وسبب توبته أنَّه وجدَ في الطريق رقعةً فيها مكتوب: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، فرفعها، فلم يجد لها موضعاً، فأكلها فرأى في المنام قائلاً يقول: قد فتحَ الله عليك أبوابَ الحكمة لاحترامك لتلك الكَاغِدَة[(٢)].

وروي أنَّه رأى النبي ﷺ، فتَفلَ في فيه، فتكلَّم بالحكمة[(٣)].

و[قال أبو سعيد بن يونس:] قدم [منصور] مصرَ فجلس يقصُّ على الناس، وبلغ الليثَ بن سعد، فأرسلَ إليه وقال: أَسْمِعني شيئاً من كلامك، فأسمعَهُ، فاستحسنه وبكى وقال: ما الذي أقدمك [إلى] بلادنا؟ فقال: دَيْن، فقال: صُنِ الحكمةَ التي آتاك الله ولا تبذلها للعوام، وأعطاه ألف دينار.

[وقد ذكرنا بمعنى هذا عن الليث بن سعد في ترجمته سنة خمسٍ وسبعين ومئة. وذكره الحافظ ابن عساكر وقال:][(٤)] لمَّا قدمَ مصر أحضرهُ الليث [بن سعد] وقال: ما حملكَ على أن تكلَّمتَ في بلدنا بغير أمرنا؟ فقال: أنا أعرضُ عليك ما قلت، فإنْ كان مكروهاً نهيتني فانتهيت، وإلَّا لم ينلني مكروه، فقال له: تكلَّم، فتكلَّم، فقال له: قم فتكلَّم على الناس، فلا يحلُّ لي أن أسمعَ هذا الكلام وحدي[(٥)].

وأقام في ضيافة الليث بمصر وجرايته إلى أنْ عادَ إلى بغداد، ودفع إليه بنو الليث مثلَ ما دفع إليه الليث.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب)، ومكانها في(خ) و(ف): وكان من حكماء المشايخ ومن أحسن الوُعَّاظ كلاماً.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٨٤.

(٤) في (خ) و(ف): وقال ابن عساكر. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٢٦ (مخطوط) من طريق الخطيب البغدادي، وهو في تاريخ بغداد ١٥/ ٨٣.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى ابن باكويه الشيرازيّ وابنُ خميس في «مناقب الأبرار» عن منصور بن عمار قال:][1] خرجتُ ليلةً من الليالي المقمرة أظنُّ أنَّ الصبحَ قد طلع، فإذا عليَّ ليلٌ، فجلست على بعض الأبواب أنتظر الصبح، وإذا بصوت رجلٍ يبكي ويقول: إلهي، [وعزَّتك] ما أردتُ بمعصيتك حين عصيتك مخالفتَك، ولكن سوَّلت لي نفسي، وغلبتْ عليَّ شقوتي، وغرَّني سترُكَ المرخى عليّ، فالآن مِن عذابك مَن يُنقذني؟ ومن أيدي زبانيتك من يخلِّصني؟ وبحبل من أتَّصل إن قطعت حبلَك عنِّي؟ واسوأتاه[2] إذا قيل للمخِفِّين جوزوا، وللمثقلِين حطُّوا، يا ليتَ شعري مع المثقلين أحطُّ، أم مع المخفِّين أجوز؟ كلَّما كَبرت سنِّي كثرت خطاياي، كم أتوبُ وأعود وما أستحي من ربِّي، قال: فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأتُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ الآيات، فاضطربَ الفتى اضطراباً شديداً، ثم هدأ الصوتُ، فعلَّمت البابَ بعلامة، ومضيتُ في حاجتي، وعدتُ بعد ارتفاع النهار، وإذا بجنازةٍ موضوعةٍ عند الباب، وعجوزٍ تذهبُ وتجيء كئيبةً باكيةً، فقلت لها: [يا] أمةَ الله، ما هذا الميت منك؟ فقالت: [إليك عني، لا تجدِّد عليَّ أحزاني، فقلت: أنا غريب، فقالت: لولا غربتك ما أخبرتك، هذا] ولدي [ومن نزل عن كبدي]، وكنت أرجو أن يواريني، وهو من موالي رسول الله ﷺ، وكان يَسُفُّ الخُوصَ[3]، ويقسم ثَمَنه ثلاثةَ أثلاث، يُطعمني ثلثه، ويَتصدَّق بثلثه، ويُفطر على ثلثه، وكان من العبَّاد الخائفين، فمرَّ به البارحة رجلٌ ـ لا جزاه الله خيراً ـ فقرأ آيةً فيها ذكر النار، فسمعها، فما زالَ يضطربُ حتى مات، [فبكى منصور وقال: ويحكَ يا ابن عمار، هذه صفةُ الخائفين.

وقيل: إنَّ هذه الواقعة كانت في سنة إحدى وثمانين ومئة، واسمُ الشابّ يعقوب، من قوَّاد الكوفة[4].

---

(١) في (خ) و(ف): وقال منصور بن عمار. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ) و(ف): واغوثاه. والمثبت من (ب)، ومناقب الأبرار ١/ ٣٠٠، وحلية الأولياء ٩/ ٣٢٨.

(٣) سف الخوص: نسجه. القاموس (سفف).

(٤) المنتظم ٩/ ٦٤-٦٥.

وحكى في «المناقب» عن منصور بن عمار قال:][1] كان رجلٌ يشربُ الخمر، فجمعَ يوماً ندماءه، ودفع إلى غلامٍ له أربعةَ دراهم يشتري له بها فاكهة، فمرَّ الغلامُ بمجلسي، وأنا أسألُ لفقيرٍ ثوباً، وأقول: من أعطاهُ أربعةَ دراهم دعوتُ له أربعَ دعوات، فدفعَ الغلامُ الدراهمَ إلى الفقير، [قال:] فقلت: ما الذي تريد أن أدعوَ لك به؟ فقال: الأولى أن يخلِّصني اللهُ من الرقّ، فدعوت له، قلت: والثانية؟ قال: أن يُخْلف الله عليَّ دراهمي، فدعوتُ له، قلت: فالثالثة؟ قال: يتوبُ الله على سيدي، فدعوتُ له، قلت: والرابعة؟ قال: أن يغفرَ الله لسيِّدي ولي ولك وللحاضرين، فدعوتُ له، فرجعَ الغلامُ إلى مولاه، فقال: ما الذي أبطأَ بك، فقصَّ عليه القصَّة، فبكى مولاه وقال: أمَّا الأولى فأنتَ حرٌّ لوجه الله، وأمَّا الثانية فلي في صندوقي أربعة آلاف درهم[2] [فهي لك][3]، وأمَّا الثالثة فأنا تائبٌ إلى الله تعالى، فهذه ثلاثةٌ قد فعلتُها، وأمَّا الرابعة فليست إليّ، هي إلى الله تعالى، فلمَّا جاء الليلُ نام الرجلُ، فرأى الحقَّ تبارك وتعالى في المنام، فقال: يا فلان، قد فعلت ما كانَ إليك، وهي الثلاث، أترانا ما نفعلُ ما كان إلينا، وهي واحدة؟ قد غفرتُ[4] لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين.

[وذكر في «المناقب» أيضاً عن سليم بن منصور قال:][5] كنتُ في مجلس أبي [منصور]، وإذا برقعةٍ قد رُفعت إليه وفيها: يا أبا السريّ، أنا رجلٌ ممَّن تابَ على يديك، وأنا اشتريتُ من الله حوراء على صَداقٍ مبلغه ثلاثينَ خَتْمَةً، فختمت تسعةً وعشرين، فبينا أنا في الثلاثين نمتُ، فرأيت حوراء قد خرجت من المحراب، وأنشدت تقول: [من المتقارب]

أتخطبُ مثلي بعينٍ[6] تنام ونومُ المحبِّين عنِّي حرامْ

فقلت: لمن أنت؟ فقالت:

---

(١) مابين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال ابن عمار.

(٢) في (ب): فلي صندوق فيه ألف دينار. وانظر مناقب الأبرار ١/ ٣٠١.

(٣) ما بين حاصرتين من (ب).

(٤) في (خ): قد فعلت وغفرت..

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال: سليم بن منصور.

(٦) في مناقب الأبرار ١/ ٣٠٠، وحلية الأولياء ٩/ ٣٢٦ : وعني، بدل : بعين.

لأنَّـا خـلـقـنـا لـكـلِّ امـرئٍ كـثـيـرِ الـصـلاة بَـرَاهُ الـصـيـامْ

ذكر نبذة من كلامه:

[حكى في «المناقب» عنه أنَّه] قال: سرورك بالمعصية إذا أظهرتَها شرٌّ من مباشرتِك لها.

[قال:] وقال: سبحانَ من جعل قلوبَ العارفين أوعيةً للذكر، وقلوبَ الغافلين أوعيةً للطمع، وقلوبَ الزاهدين أوعيةً للتوكل، وقلوبَ الفقراء أوعيةً للقناعة، وقلوبَ المتوكِّلين أوعيةً للرضا.

وقال: اترك الدنيا تسترح من الهمّ[١]، واحفظ لسانك تسترح من المعذرة.

[قال:] وقال لرجلٍ تاب ثم رجع: ما أراك رجعتَ عن طريق الآخرة إلَّا من الوَحشة لقلَّة سالكيها.

وقال: الناسُ رجلان، رجلٌ عارفٌ بنفسه، فشُغْلُه المجاهدةُ والرياضة، ورجلٌ عارفٌ بربِّه، فَشُغْلُه الخدمة والعبادة[٢].

[وقال الخطيب:] توفي منصور [بن عمار في هذه السنة] ببغداد، ودُفن بباب حَرْب قريباً من قبر بشر الحافي، وإلى جانبه ابنُه سُليم [بن منصور. والله أعلم[٣].

ذكر مارُؤي له من المنامات:

ذكر الخطيب بإسناده إلى سُليم بن منصور بن عمار يقول:][٤] رأيتُ أبي [منصور] في المنام، فقلت له: ما فَعَل الله بك، قال: قَرَّبني وأدناني وقال: يا شيخَ السوء، تدري لم غفرتُ لك؟ فقلت: لا يا إلهي، قال: إنَّك جلستَ للناس مجلساً فبكَّيتَهم، فبكى فيهم عبدٌ من عبادي لم يَبكِ من خشيتي قطّ، فغفرتُ له، ووهبتُ أهلَ المجلس كلَّهم، ووهبتُكَ فيمن وهبتُ له[٥].

---

(١) في مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨، وطبقات الصوفية للسلمي ص١٣٥ : الغم.

(٢) انظر مناقب الأبرار ١/ ٢٩٨ـ٢٩٩.

(٣) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٨٩.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال سليم بن منصور.

(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٨٩ .

[قلت: وسبب قول الحقِّ سبحانه لمنصور: يا شيخ السوء؛ لأنَّه كان يزهِّدُ الناس في الدنيا ويأخذُها، كما فعل مع الليث بن سعد، فإنَّه أخذ منه ألوفاً من الدنانير والمتاع وغيره، وقد ذكرناه في ترجمة الليث، ثمَّ إن الله عفا عنه بعد ذلك.

وحَدَّثنا غيرُ واحدٍ عن محمد بن أبي القاسم بإسناده إلى أبي العباس القاضي يقول: سمعتُ أبا الحسين السعداني[١] يقول:][٢] رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له: ما فعلَ الله بك؟ فقال: أُوقفت بين يديه فقال: أنت الذي كنتَ تُزَهِّدُ الناسَ في الدنيا وتَرغَبُ فيها؟! فقلت: قد كان ذلك يا إلهي، ولكن ما اتَّخذتُ مجلساً إلَّا وبدأتُ بالثناء عليك، وبالصلاة على نبيك محمد ﷺ، وثلَّثتُ بالنصيحة لعبادك، فقال: يا ملائكتي، صدقَ، اصنعُوا له كرسيّاً في سمائي، فيمجِّدني بينكم كما كان يمجِّدُني بين عبادي.

أسندَ عن جماعةٍ من العلماء منهم أبو الخطَّاب معروف الخياط، صَاحِب واثلةَ[٣] بن الأسقع، وروى عن الليثِ بن سعد وابنِ لهيعة وغيرهم.

وروى عنه ابنُه سُليم، وعليّ بن خشرم، وجنادة بن محمد وغيرهم، وقد تكلَّموا فيه[٤].

ومن روايته عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن أعيتهُ المكاسبُ فعليه بمصر، وعليه بالجانب الغربيِّ منها»[٥].

وهو حديثٌ ضعيف.

(١) في تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣١ (مخطوط): أبا الحسن الشعراني.

(٢) في (خ) و(ف): وقال أبو الحسن السعداني. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): صاحب كذا وأبو بكر بن الأسقع؟! والتصويب من تاريخ بغداد ١٥/ ٨٠، وصفة الصفوة ٢/ ٣٠٩

(٤) من قوله: أسند عن جماعة . . . إلى هنا، ليس في (ب).

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٢٢٢ (مخطوط).